إلى أصله المذكر.

من هنا فإن الذكورة تفرض نفسها على المرأة إلى درجة أن النساء أنفسهن ساهمن في هذا التحويل المستمر باتجاه الذكورة. وها هي أحلام مستغانمي تشير إلى أنها وجدت التحدث بلسان الرجل يسهل عليها الكتابة ويساعد على السرد ويجعلها تقول ما تعجز عن قوله كأنثى[75]. بينما ترى هدى بركات أن شخصية الرجل تقدم لها حقلاً أكثر اتساعاً وتعقيداً مما تقدمه شخصية المرأة (لأن ما هو مطروح من أشكال الوعي والسلوك على الرجل العربي هو أصعب وأشمل مما هو مطلوب عموماً من المرأة... ... وبتعبير آخر: المرأة في مجتمعنا مكفوفة عن أن تكون أحد أبطال التشكيل الاجتماعي، فكيف تريدينني أن أخترع ـ روائياً ـ شخصية غير موجودة في الواقع)[76].

هذا كلام تقوله امرأة مثقفة عن بنات جنسها، وهو قول يمعن في الذكورة وتذكير النص والمجتمع، ولا أظن أن أحداً من الرجال مهما بلغت فحولته سيقول أقسى من هذا الكلام.

على أن هذا القول الذي تقوله الكاتبة الروائية هدى بركات لا يأتي عجباً أو نشازاً في الثقافة، فنحن نلاحظ أن كثيراً من النساء ترى ذلك وتقول به منذ أن كتبت عائشة التيمورية بلهجة الرجل ولسانه، إلى ما هو قائم اليوم من اختيار المرأة طريق الاسترجال لكي تكون مبدعة ومثقفة.

هذه أقصى حالات الاستلاب، وحسب كلمات الخطيبي فإن (أقوى سيطرة ـ على مستوى المعرفة ـ هي التي تجعل المسيطر عليه يصل إلى الاعتقاد أو التفكير بأن نقطة ومركز وأصل كلامه هو نفس نقطة ومركز وأصل المسيطِر)[77].

---

(75) مقابلة مع أحلام مستغانمي، مجلة (هي) العدد (24) يوليو 1994 ص 30-32.

(76) هدى بركات: جريدة (الرياض) في 30/5/1994.

(77) عبد الكبير الخطيبي: النقد المزدوج 158، دار العودة، بيروت د.ت.